



قسم الأودية



وأما قسم الأودية فهو عشرة أبواب، وهى:
الإحسان، والعلم، والحكمة، والبصيرة، والفراصة، والتعظيم، والإلهام،
والسكينة، والطمأنينة، والهمسة.

باب الإحسان

قال الله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (١).

قد ذكرنا فى صدر الكتاب أن الإحسان اسم جامع نبوى يجمع أبواب الحقائق وهو: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» (٢).

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الإحسان فى القصد

بتهديه علما

وإبرامه عزماً

وتصفيته حالاً.

والدرجة الثانية: الإحسان فى الأحوال

وهو أن تراعيها غيرة

وتسترها نظراً

وتصححها تحقيقاً.

(١) سورة الرحمن. الآية رقم ٦٠.

(٢) جزء من حديث صحيح وقد سبق تخريجه.

والدرجة الثالثة : الإحسان في الوقت

وهو أن لا تزايد المشاهدَة أبدا

ولا تلحظ لَهْمَتك أمدًا

وتجعل هجرتك إلى الحق سرمدًا.

باب العلم

قال الله عز وجل: ﴿... وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (١).

العلم ما قام بدليل ورفع الجهل

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علمٌ جليٌّ

يقع بعيان

أو استفاضة صحيحة

أو صحة تجربة قديمة.

والدرجة الثانية: علمٌ خفيٌّ

ينبت في الأسرار الطاهرة

من الأبرار الزاكية

بماء الرياضة الخالصة

ويظهر في الأنفاس الصادقة لأهل الهمة العالية

في الأحايين الخالية

في الأسماع الصاحية.

وهو علمٌ يُظهر الغائب

ويغيب الشاهد

ويشير إلى الجمع.

(١) سورة الكهف. الآية رقم ٦٥.

والدرجة الثالثة : علمٌ لدُنِّيَّ

إِسْنَادُهُ وَجُودُهُ

وإِدْرَاكُهُ عِيَانُهُ

وَنَعْتُهُ حَكْمُهُ

لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَيْبِ حِجَابٌ .

باب الحكمة

قال الله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾ (١).

الحكمة اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعطى كل شيء حقه

ولا تعديه حده

ولا تعجله وقته.

والدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله في وعيده

وتعرف عدله في حكمه

وتلحظ برّه في منعه.

والدرجة الثالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة

وفى إرشادك الحقيقة

وفى إشارتك الغاية.

(١) سورة البقرة. الآية رقم ٢٦٩.

باب البصيرة

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (١).

البصيرة ما يخلصك من الحيرة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعلم أن الخبر القائم بتمهيد الشريعة

يصدر عن عين لا تخاف عواقبها

فترى من حقه أن تلذه يقينا

وتغضب له غيراً.

والدرجة الثانية: أن تشهد في هداية الحق وإضلاله إصابة العدل

وفى تلوين أقسامه رعاية البر

وتعاین فى جذبہ حبل الوصال.

والدرجة الثالثة: بصيرة تفجر المعرفة

وتثبت الإشارة

وتُثبت الفراسة.

(١) سورة يوسف. الآية رقم ١٠٨.

● ● ● ● ● ● ● ● باب الفراسة

● ● ● ● ● ● ● ●

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ (١).

التوسّم التفرّس

وهو استئناس حكم غيب

من غير استدلال بشاهد ولا اختبار بتجربة.

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فراسة طارئة نادرة

تسقط على لسان وحشى فى العمر مرة

لحاجة سمع مرید صادق إليها

لا يوقف على مخرجها

ولا يؤبّه بصاحبها.

وهذا شىء لا يلخّص من الكهانة وما ضاهاها

لأنها لم تشر عن عين

ولم تصدر عن علم

ولم تُسَقَّ بوجود.

والدرجة الثانية: فراسة تُجنى من غرس الإيمان

وتطلع من صحّة الحال

وتلمع من نور الكشف.

(١) سورة الحجر. الآية رقم ٧٥.

والدرجة الثالث: فِراسَةُ سِرِّية

لَمْ تَحْتَلِبْهَا رَوِية

عَلَى لِسَانِ مِصْطَنَع

تَصْرِيحاً أَوْ رَمْزاً.

●●●●●●●● باب التعظيم

●●●●●●●●
قال الله عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١).

التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تعظيم الأمر والنهي

وهو أن لا يُعارضاً بترخصٍ جافٍ

ولا يُعرضاً لتشديدٍ غالٍ

ولا يُحملاً على علةٍ تُوهن الانقياد.

والدرجة الثانية: تعظيم الحكم

أن يُبغى له عوجٌ

أو يدافع بعلم

أو يُرضى بعوض.

والدرجة الثالثة: تعظيم الحق

وهو أن لا تجعل دونه سبباً

أو ترى عليه حقاً

أو تنازع له اختياراً.

(١) سورة نوح. الآية رقم ١٣.

باب الإلهام

قال الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ (١).

الإلهام مقام المحدثين

وهو فوق الفراسة

لأن الفراسة ربما وقعت نادرة

أو استصعبت على صاحبها وقتاً

واستعصت عليه

والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إلهام نبأ يقع وحيًا قاطعًا

مقرونًا بمساع أو مطلقًا.

والدرجة الثانية: إلهام يقع عينًا

وعلامه صحته أنه لا يخرق سترًا

ولا يجاوز حدا

ولا يخطئ أبدا.

والدرجة الثالثة: إلهام يجلو عين التحقيق صرفًا

وينطق عن عين الأل محضا.

وللإلهام غاية تمتنع عن الإشارة إليها.

(١) سورة النمل . الآية رقم ٤٠ .

باب السكينة

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ (١).

اسم السكينة لثلاثة أشياء:

أولها: سكينة بنى إسرائيل التي أعطوها في التابوت

قال أهل التفسير «هي ریحٌ هفافة» (٢) وذكروا صفتها

وفيهما ثلاثة أشياء:

هي لأنبيائهم معجزة

ولملوكهم كرامة

وهي آية النصره تخلع قلوب العدو بصوتها رعباً

إذ التقى الصفان للقتال.

والسكينة الثانية: التي تنطق على ألسن المحدثين ليست هي شيئاً يملك

إنما هي شيء من لطائف صنيع الحق

يلقى على لسان المحدث الحكمة

كما يلقي المسلم الوحي على قلوب الأنبياء

وتُنطق المحدثين بنكت الحقائق

مع ترويح الأسرار

وكشف الشبه.

(١) سورة الفتح. الآية رقم ٤.

(٢) راجع كتب التفسير.

والسكينة الثالثة: هى التى أنزلت فى قلب النبى ﷺ وقلوب المؤمنين

وهى شىء يجمع نوراً . . . وقوة . . . وروحاً

يسكن إليه الخائف

ويتسلى به الحزين والضجر

ويستكين له العصى . . . والجريء . . . والأبى .

وأما سكينة الوقار: التى تراها نعتاً لأربابها

فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التى ذكرناها

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: سكينة الخشوع عند القيام بالخدمة

رعاية . . . وتعظيماً . . . وحضوراً .

والدرجة الثانية: السكينة عند المعاملة

بمحاسبة النفس

وملاطفة الخلق

ومراقبة الحق .

والدرجة الثالثة: السكينة التى تُنبئ الرضى بالقسم

وتمنع من الشطح الفاحش

وتقف صاحبها على حد الرتبة .

والسكينة لا تنزل قط إلا فى قلب نبى أو ولى .

باب الطمأنينة

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (١).

الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان.

وبينه وبين السكينة فرقان:

أحدهما أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحياناً

والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس.

والثاني أن السكينة تكون نعتاً وتكون حيناً بعد حين

ولطمأنينة نعتٌ لا يزایل صاحبه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى طمأنينة القلب بذكر الله

وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء

والضجر إلى الحكم

والمبتلى إلى المثوبة.

والدرجة الثانية طمأنينة الروح في القصد إلى الكشف

وفى الشوق إلى العدة

وفى التفرقة إلى الجمع.

والدرجة الثالثة طمأنينة شهود الحضرة إلى اللطف

وطمأنينة الجمع إلى البقاء

وطمأنينة المقام إلى نور الأزل.

(١) سورة الفجر. الآية رقم ٢٧.

باب الهمة

قال الله عز وجل: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾^(١).

الهمة ما يملك الانبعاث للمقصود صرفاً

لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: همة تصون القلب من خسة الرغبة في الفانى

وتحمّله على الرغبة في الباقي

وتصفيه من كدر التوانى.

والدرجة الثانية: همة تورث أنفةً من المبالاة بالعلل

والنزول على العمل

والثقة بالأمل.

والدرجة الثالثة: همة تصاعد عن الأحوال والمقامات

وتزرى بالأعواض والدرجات

وتنحو عن النعوت نحو الذات.

(١) سورة النجم. الآية رقم ١٧.